التوحيد الذي جحده المشركون

فنعرف أركان الإسلام، أركان الإسلام خمسة يعرفها طلاب المرحلة الابتدائية، ويعرفها الخاصة والعامة، ولكن الشأن في تطبيقها، نقول: الركن الأول الشهادتان، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، كثيرون الذين يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله، ولكن قليل الذين يعملون بها والذين يطبقونها، فالمشركون الأولون يعرفون أن لا إله إلا الله تحرم أن يتخذ مع الله آلهة أخرى، أن من قال: لا إله إلا الله أبطل الإلهية لغير الله، فلأجل ذلك امتنعوا عن قولها. قال الله تعالى: { إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ } فأخبر بأن هكذا أنهم يستكبرون عن قول لا إله إلا الله؛ لأنهم يعرفون أنهم إذا قالوها أبطلوا إلهية غير الله من المألوهات في زماننا يقولها كثير، ولكن يبطلونها حيث يجعلون مع الله آلهة أخرى، ولكنهم لا يسمونها آلهة، بل يسمونهم سادةً أو شهداء أو أولياء أو صالحين أو أنبياء، ويقولون: إن لهم شفاعة فنحن نطلبهم وهم يطلبون لنا من الله، فيشركون ويعتقدون أن هذا الشرك ليس بشرك، وإنما يسمونه توسلا واستشفاعًا وتقربا وتبركا وما أشبه ذلك. فهؤلاء ما تنفعهم لا إله إلا الله حتى يعرفوا معناها، معنى لا إله إلا الله لا معبود بحق إلا الله، أي: العبادة كلها حق الله فلا أحد يستحق العبادة إلا الله. الله تعالى هو الإله، الإله: هو الذي تألهه القلوب محبة وخوفا ورجاء وتوكلا وتذللًا وخضوعًا وخشوعًا وعبادةً بكل أنواع العبادة هذا هو حقيقة الإله فمعناه لا إله لنا نألهه ونعظمه ونجله إلا أنت يا رب إلا الله ربنا وخالقنا، هو إلهنا لا نتخذ معه آلهة أخرى فالآلهة التي من المخلوقات كلها آلهة إلاهيتها باطلة فمن قال لا إله إلا الله لزم أن يأله ربه وأن يعبده وحده، وأن يصد بقلبه عما سوى الله وأن لا يكون في قلبه ما يزاحم محبة الله تكون محبته الحقيقية الصفية كلها لله، وكذلك جميع أنواع العبادة تكون كلها لله، فهذا هو الذي حقق لا إله إلا الله.